بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ الدكتور أحمد سامر القباني

سلسلة خطب التغيير ٥

علاقة الإنسان بالشيطان

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، حمداً لك ربي على نعمائك، وشكراً لك على آلائك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، إلهٌ تفرَّد بالربوبية، لا ضدَّ ولا ندَّ، ولا ولد ولا والد، ولا زوجة له، إلهٌ حكم فعدل، وأعطى فأجزل، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، صفيه من بين خلقه وحبيبه، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وبعد عباد الله، فإني أوصيكم ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته، وأحذركم ونفسي مِن عصيانه ومخالفة أمره، وأستفتح بالذي هو خير.

اعلموا أن خير الكلام كلام الله، وأن خَير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وأن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢].

إلهي إن يكن ذنبي عظيماً ... فعفوك يا إله الكون أعظم

فممن أرتجي مولاي عفواً ... وفضلك واسع للكل مغنم

تركت الناس كلهم ورائي ... وجئت إليك كي أحظى وأنعم

فعاملني بلطفك واعف عني ... فإن تغضب فمن يغفر ويرحم؟

اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة يا الله، وعمنا جميعاً بفضلك الكبير، اللهم إني أعوذ بك من التكلف لما لا أعلم، كما أعوذ بك من العجب بما أعلم، وأعوذ بك اللهم من السَّلاطة والهذر، كما أعوذ بك من العِيِّ والحَصَر، أعذني رب من حَصَر وعيٍّ، ومن نفس أعالجها علاجاً.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: ما زلنا مع حضراتكم نتحدث عن التغيير، التغيير الذي يُمكن أن يُحدثه الإنسان في حياته، لينتقل من حالة إلى أخرى، فكثير من الناس يُحبون الله ورسوله، وكثير منهم يَرغبون في طاعة الله سبحانه وتعالى، وفي الاستقامة، ولزوم طريق الهداية، والبعد عن الضلال وعن الغواية، ولكن الشيطان يأخذ منهم مأخذاً كبيراً، والنفس الأمارة بالسوء تدعوهم دائماً إلى ارتكاب المخالفات الشرعية، فربما يلتزم الواحد مِنَّا يوماً ويومين وأسبوعاً وأسبوعين وشهراً وشهرين، ثم يعود مرةً أخرى إلى المعاصي والمخالفات الشرعية، ويَسأل: كيف السبيل إلى أن يكون التزامي هذا التزاماً حقيقياً، وأن تكون حَياتي مستقيمة على نهج الله ونهج رسول الله؟.

والجواب -أيها الإخوة- أن التغيير الواقعي في حياة الإنسان يَجب أن يَسبقه تغيير فكري، فمالم يكن هناك تغيير في الأفكار، وإرادةٌ قويةٌ تصاحب هذا الإنسان، فمن الصعب أن يتغير، والتغيير الفكري لا نَعني به التفكير الاعتقادي، فكلنا مؤمنون ولله الحمد والمنّة، الحمد لله على نعمة الإيمان، وعلى نعمة الإسلام، وكفى بها من نعمة، الحمد لله، ولكن ما نقصده بالتغيير الفكري أن هناك أشياء لكثرة الأُلفِ والعادة، يألفها الإنسان ويعتادها الإنسان، ينساها مِن تفكيره في كثير من الأحيان، لأنه ألفها واعتادها، ومن هذه الأشياء ثلاثة أسئلة مهمة، ربما تُؤدي إلى التغيير الفكري في ذواتنا، هل أنا من أهل الدنيا أو من أهل الآخرة؟ هل أنا مع الله أو مع الشيطان؟ هل أعمل للحياة أو أعمل للموت؟ ثلاثة أسئلةٍ مهمّة، ألفناها في حياتنا، فأصبحت بالنسبة لنا أمراً اعتيادياً ربما لم نَعد نفكر به التفكير الصحيح.

تكلمنا عن الدنيا وعن الآخرة، وبدأنا في الخطبة السابقة بالحديث عن الشيطان، ورأينا أن الله عز وجل هو المنعم المتفضل علينا، هو خالقنا، وهو بَارئنا، وهو مصورنا، وهو الذي غذانا بالنعم، وهو الذي أسجد ملائكته لأبينا آدم، وهو سبحانه وتعالى الذي كان وما زال وسيبقى الْمُمِدَّ لنا بالقوة والطاعة، والْمُمِدَّ لَنَا بِالنِّعم، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ فالجواب الطبيعي: نحن مع الله، والشيطان أغوى أبانا آدم عليه السلام، وكان السبب في خروجه من الجنة، وما زال يُغوينا في حياتنا، وما زال هذا الشيطان يُريد أن يُطغينا ويُخرجنا عن طاعة الله سبحانه وتعالى.

والغريب العجيب أن كثيراً من الناس يتركون المنعم سبحانه وتعالى ويتبعون من هو عدوٌّ لهم، إنه لأمرٌ غريب عجيب، وقلت لحضراتكم: كل بني آدم خطّاء، ونحن يُطلب مِنَّا الاعتصام بحبل الله، ولا يُطلب منا العصمة، فنحن سنخطئ في لحظة ضعف، ولكن هناك فَرق بين أن تكون مع الله تعالى في أحوالك وأن تأتي لحظة ضعفٍ في مخالفةٍ شرعية، وبين أن يكون معظم وقتك ومعظم حياتك مع الشيطان وأن لا تكون مع الله، هذه ناحيةٌ مهمة، وقلت لحضراتكم: إننا سنستعرض هذه الأشياء في كتاب الله عز وجل وفي سنة حبيبنا المصطفى ﷺ، فدعوني -أيها الإخوة- لأختصر الكلام، أبدأ بما تكلم فيه القرآن عن الشيطان، وعن علاقة الشيطان بالإنسان، البعض ربما -أنا لا أقول في الاعتقاد، الاعتقاد اعتقاد جازم، نحن مؤمنون- ولكن ربما البعض يَنظر إلى الشيطان على أنه أسطورة، كيف يعني أسطورة؟ يعني مثل قصص ألف وليلة، هذا الموضوع فيه إشكال عقائدي، ربما يَخرج الإنسان عن الإيمان إذا فكر أن الشيطان ليس له وجود، يعني هو موضوع معنوي، قال أحدهم: يعني هو الشيطان يُمثل الشر، والله تعالى يُمثل الخير، وقال: الشيطان لا نراه ولا بحياتنا اجتمعنا فيه، لا هو ولا أولاده، لأنه ليس هناك شيطان واحد بل في شيطان وشيطانة، تزاوجا أنجبا لنا شياطين كثيرة، فالدنيا مليئة بالشياطين، نحن

في حياتنا ما رأيناهم، قال: يعني أن موضوع الشيطان أليس موضوعاً رمزياً؟ كيف؟ قال: يَعني هو رمز للشر، كما يقول بعض الغربيين: إنه لا وجود للشيطان في الحياة، هو موضوع رمزي للشر، والله هو موضوع رمزي، ومعناه الخير، هذا أمر يخرج به الإنسان عن عهدة الإيمان وعن عهدة الإسلام إذا اعتقد هذا الاعتقاد، الموضوع ليس موضوعاً رمزياً، وليس أسطورة، الموضوع موضوع حقيقي، يعني كان هناك آدم وحواء، يقول لك القرآن، وربنا أمر ملائكته أن يسجدوا لسيدنا آدم: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٠-٣١] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] هذه قصة حقيقية حصلت وليست رمزاً، إذاً هو موضوع حقيقي، لما يُحدثنا القرآن عن شيء، ﴿وَمَن أَصدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثَاً﴾ [النساء: ٨٧] هو موجود، نحن لا نراه، إذاً أين يَكمن موضوع هذا الشيطان؟ يَكمن في الوسوسة، يعني الإنسان يُفكر، ما الذي يدخل على خط التفكير؟ النفس الأمارة بالسوء والشيطان، الإنسان يَقوم بأفعال يومية، ما الذي يَدخل على خط هذه الأفعال فيوسوس ويحرف الإنسان؟ الشيطان، إذاً الفِعل يَسبقه تَفكير دائماً، أنت قَبل أن تُقدم على أي عمل تَجلس وتُفكر فيه، قد يَكون التَّفكير لمدة أجزاءٍ مِن الثانية أو ثواني معدودة، فتأخذ أنت بعد التفكير قراراً بأن تَفعل هذا الشيء أو لا تفعل هذا الشَّيء، هذا القرار يَجب أن تفكر فيه مَلياً، هل هذا القرار في مَصلحتي؟ أنت تُريد أن تتغير أم لا تريد؟ الشباب الذين لا يُريدون التغيير أنا لا أخاطبهم، أخاطب الشباب المحترقين على أن يَتغيروا نحو الأفضل، إلى أن تَحسن صلتهم بالله تعالى، إلى أن تحسن معاملتهم فيما بينهم، الخلق مع الخلق، والدين المعاملة، خطابنا لهؤلاء، أما الذين هم في غيّهم يعمهون، والذين هم مسرورون في هذه الحياة بالبعد عن الله سبحانه وتعالى، فهؤلاء ليس خطابنا لهم، لكن لا أعتقد أن واحد من المسلمين المؤمنين إلا وهو يتحرق شوقاً إلى الله، يتحرق شوقاً إلى صراط الله المستقيم، ويَدعو الله في سره وفي جهره أن يَرزقه

الاستقامة في الأقوال والأعمال والنيات، ويَتمنى أن يُقلع عن المعصية، ويتمنى أن يكون مع المتقين، لا أعتقد كل مؤمن ومسلم إلا فيه هذه النزعة الإيمانية، وإن كان ربما بعيداً عن الله، نحن لا نيأس أبداً مَن أي إنسان مؤمن، ولا نقنط من عودته إلى الله، وأكبر مثال ذاك الرجل في حديث البخاري الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً، ثم بعد ذلك أراد أن يتوب، رجل قَتل تِسع وتِسعين نفساً، فيه نزعة الإيمان ونزعة الخير موجودة، وأكبر الكبائر بعد الشرك بالله هو القتل، فسأل عن أعبد أهل الأرض، فدُلَّ عليه، فذهب إليه، فقال: أنا قتلت تسعاً وتسعين نفساً، فهل لي من توبة؟ قال له: تسعاً وتسعين؟ قال: الله لن يغفر لك، ليس لك من توبة، فقتله فأكمل به المائة، قال: فسأل عن أعلم أهل الأرض، هناك فرق بين العالم والعابد، ((فَضل العالم على العابد كفضلي على أحدكم)) أو ((كفضل القمر على سائر الكواكب)) سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ عليه فذهب إليه، فقال له: إني قتلت تسعاً وتسعين نفساً، قال له: نعم، قال: فسألت عن أعبد أهل الأرض فذهبت إليه، قلت له: هل لي من توبة؟ قال: لا، قال: فقتلته فأكملت به المائة، فهل لي من توبة؟ ربما يقول أحدكم: هذا العالم قد أجاب في لحظة خوف، هذا الإنسان عالم من العلماء الربانيين، الذين لا يَخشون في الله لومة لائم، من العلماء الربانين الذين يقولون كلمة الحق، قال له كلمة الحق التي عليها كل الشرائع السماوية، والتي أنزلها الله في كتبه كلها، قال له: ومَن بينك وبين الله؟ هذه ليست قصص ألف ليلة وليلة، في صحيح البخاري، فقال: ومَن بينك وبين الله، مِن أين أنت؟ قال: مِن أهل كذا، قال: هؤلاء قوم طالحون، ولكن اذهب إلى قبيلة كذا أو قوم كذا، فاعبد الله معهم فإنهم قوم صالحون، قال: فذهب الرجل فتاب، وهو في طريقه إلى القوم الصالحين من أجل أن يعبد الله معهم حضرته المنية، فتنازعته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، انظروا إلى فضل الله تعالى –أيها الشباب، وأيها الرجال، انظروا أيها النساء، وأيتها الفتيات، إلى فضل الله تعالى– قتل تسعاً وتسعين نفساً، وأكمل المائة بأعبد أهل

الأرض، قال: فحضرته المنيّة، فتنازعته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ملائكة الرحمة تقول: جاء تائباً فنقبض نحن روحه، وملائكة العذاب قالت: قَتل مائة نفسٍ نحن نقبض روحك، قال: فأرسل الله إليهم ملكاً ليتحاكموا إليه، فقال: قيسوا الأرض –من القياس– إذا كان إلى أهل الطلاح أقرب تقبض روحه ملائكة العذاب، وإن كان إلى أهل الصلاح تقبض روحه ملائكة الرحمة، قال: فكان إلى أهل الطلاح أقرب، إلى قوم الشر كان أقرب، فبدؤوا بالقياس، يقول سيدنا رسول الله ﷺ: فأوحى الله إلى تلك الأرض أن تقاربي، وإلى تلك الأرض أن تباعدي، فقاسوا المسافة فوجدوه إلى أهل الصلاح أقرب، فقبضت روحَه ملائكة الرحمة، في فضل من الله أعظم من ذلك؟! فليس هناك مُؤمن إلا عنده هذه النزعة الإيمانية التي يتمنى أن يكون بها أن يكون صالحاً وأن يكون مستقيماً على نهج الله.

لنستعرض هذه الآيات ونختم بها هذه الخطبة.

الآية الأولى: الله عز وجل قال في سورة الإسراء: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ لم يَقل: يقولوا الحُسنى، فيما بَيننا إذا تخاطبنا فبالتي هي أحسن، ليس بالحسنى، لأن أحسن أفعل تفضيل، فالأحسن أقوى من الحُسنى، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] عدو، القرآن يقول عن الشيطان عدو.

الآية الثانية: في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

الآية الثالثة: في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨] إذاً لاحظ التنبيهات الثلاثة:

الأولى: اللسان مشكلة فيما بين وبين الآخرين في التعامل، يجب أن تستخدمه فيما هو أحسن، الشيطان لا يريدك أن تكلم أخاك المؤمن أو زوجتك أو ابنك أو

شريكك أو مَن حولك، لا يُريدك أن تُكلمه بالتي هي أحسن، لماذا؟ لِيَكون هناك المشاكل فيما بينك وبين من حولك: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

الثانية: أكل الحرام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ الشيطان لا يُريدك أن تأكل حلالاً طيباً، يُريدك أن تأكل الحرام والمال المشبوه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِين﴾ [البقرة: ١٦٨].

الثالثة: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ إذاً مَن الذي يأمر بالحرب وافتعال الفتن وإثارة الفتن؟ الشيطان، هكذا تقول آيات كتاب الله، ليس كلامي ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ انظر إلى كلمة كافةً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِين﴾ [البقرة: ٢٠٨] قلت لحضراتكم: التكرار يُفيد التأكيد على هذا المعنى، هل تلاحظون كيف ينصُّ القرآن دائماً على كلمة عدو، ليس عدو عادي، عدو مبين، هل تستحضر هذا عندما تأمرك نفسك بالمعصية، أنك تتبع عدوك وتنسى الله، تنسى المنعم؟ تريد التغيير، هل تفكر في هذه الأشياء؟.

الآية الرابعة: في سورة سيدنا يوسف: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِين﴾ [يوسف: ٥] نُلاحظ هذا التأكيد.

الآية الخامسة: قال ربنا سبحانه وتعالى في سورة القصص: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ دفعه سيدنا موسى فوقع الرجل على حجر فمات، فقال سيدنا موسى: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِين﴾ [القصص: ١٥] لاحظ التَّأكيد على هذه العداوة التي ننساها دائماً في حياتنا، ﴿عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِين﴾ هذا كلام سيدنا موسى، والذي قبله كلام سيدنا يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام.

الآية السادسة: في سورة فاطر: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] القرآن يقول لك: إن الشيطان لكم عدواً فاتخذوه صديقاً، أليس كذلك؟ الآية تقول: ﴿فاتخذوه عدواً﴾ للأسف كثير من شبابنا ورجالنا ونساءنا وفتياتنا يتخذون الشيطان صديقاً، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ وإذا اتبعناه: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني أنت فرحان؟ يُريد أن يأخذك إلى جهنم، أنت فرحان بالصداقة مع الشيطان؟ والله أنا لست صديقه يا أستاذ، القضية تكمن في الاستجابة لأمر الله، أنا لا أحكم على نفسي وعلى أي إنسان في هذه الدنيا، أنا أنظر إلى الأفعال، الأفعال قد تقول إنك صديقه أو تقول أنك عدوه، هنا يَأتي الموضوع الفكري: أنت مع من؟.

الآية السابعة: في سورة يس: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

المرحلة الثانية: ننظر الآن إلى الآيات، إذا اتبعنا الشيطان:

الآية الأولى: في سورة النور: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ يأمر بماذا؟ بالفحشاء والمنكر، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

الآية الثانية: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨] يأمر بالفحشاء والمنكر؟ خطوات الشيطان للفحشاء والمنكر.

الآية الثالثة: في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١] عداوة وبغضاء، يصد عن ذكر الله، يصد

عن الصلاة، هذا الذي يريد أن يتبع الشيطان، فالإنسان ينظر لنفسه وإلى منهج حياته، كيف يمشي في هذه الدنيا، ليس شرطاً الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، عداوة وبغضاء، الصد عن ذكر الله، إذا الإنسان وجد ذكرَ الله ثقيلاً على لسانه مِن أين هذا؟ يُمسك السبحة ليذكر الله يَجدها شيئاً ثقيلاً عليه، اذكر الله من غير سبحة، ويَصده عن الصلاة، يُضيع عليه صلوات كثيرة، حتى يَعرف مِن أين أتى هذا المأخذ.

الآية الرابعة: في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] الربا من عمل الشيطان، فانظر في تعاملاتك المالية.

الآية الخامسة: في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء/٢٧] انظر معيشتك وانظر في إنفاقك، هل تُنفق أنت كما يأمر الله عز وجل، أم أنك من المبذرين؟ ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.

الآيات التي أختم بها:

الآية الأولى: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨] يَعني أنت إذا رَضيت أن يكون الشيطان لك قريناً في الحياة يُخبرك الله بئس هذا الصديق، هل أنت من هؤلاء؟ ولست من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] أم أن الشيطان قرين معك دائماً أينما ذهبت.

الآية الثانية: تحذيرٌ من الله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] يا بني آدم، يا أيها الناس، افهموا، يقول لنا ربنا: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] يعني تعقّلوا قبل أن تقوم بالفعل، انظر وفَكِّر في هذا الفعل، هل هو من أوامر الله أو مِن عَمل

الشيطان وأوامر الشيطان؟ السؤال الذي يطرح نفسه: أنا إذا كنت مع الشيطان كيف التخلص من ذلك؟ هل موضوع الشيطان كما يَظن البعض استيلاء الشيطان على تفكيرنا ونفوسنا هو قوي؟ البعض يَنظر إلى أن استيلاء الشيطان على نفوسنا قوي جداً، والدليل أننا لا نَستطيع التخلص منه، لا، القرآن يَقول لك خلاف ذلك: لنستمع إلى هاتين الآيتين:

قال ربنا عز وجل في سورة النساء: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠] موضوع الشيطان موضوع غرور.

وقال الله تعالى في سورة النساء: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

الحل في هاتين الآيتين:

الآية الأولى: في سورة الأعراف: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] لما يَأتيك وارد المعصية قل: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، قُم فتوضأ وصل، مَن يَعملها اليوم؟ يَعني هناك إرادة ضمنية باتباع الشيطان، الله يُخبرنا أن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقم وتوضأ وصل، تَذهب عنك خواطر الشيطان، هل هذا الأمر صعب على النفوس؟ لهذه الدرجة أصبحنا كُسالى ومثبطي الهمم ومستولى علينا على هذه الأمة، بحيث أن أحدنا لا يَستطيع أن يناهض الشيطان بكلمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن يقوم ويتوضأ ويصلي؟ عجيب.

الآية الثانية: في سورة فصلت: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

الآية الثالثة: في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] تَذكروا الله، هو موضوعنا كله إخواننا، الخطبة عن هذا الموضوع، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾

لكن يُوجد إذا مسهم طائفٌ من الشيطان غفلوا، ونسوا الله، ليس تَذكروا فإذا هم مبصرون، وهذه هي المشكلة.

الآية الرابعة: في سورة الأنعام: ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

الآية الخامسة: في سورة المجادلة: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

فالنَّتيجة هناك حزب الشيطان، وأن تكون مع الله، لا يوجد ثالث لهما، وهذا يظهر في حالة التفكير بالمعصية والانحراف، إما أنت من حزب الشيطان، أو أنت مع الله، ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ انظر إلى كلمة استحوذ ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة/١٩].

أختم الخطبة بهذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده، عن سيدنا عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يقول الشيطان لله عز وجل – حديث قدسي– وعزتك وجلالك لا أزال أُغوي بني آدم مَا دامت الأرواح فيهم)) –يقسم بعزة الله وجلاله– ((وعزتك وجلالك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم)) فيقول الله عز وجل: ((وعزتي وجلالي لأغفرنّ لهم ما زالوا يستغفروني)) الله، يا ربنا لك الحمد، ((وعزتي وجلالي لأغفرنّ لهم ما دَاموا يستغفروني)) اللهم اغفر لنا وارحمنا.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم، استغفروه يغفر لكم، والحمد لله رب العالمين.

بتصرف